مدينة زكندر دراسة في أحوالها العامة

أنعام حسين احمد ظاهر

Dr. anaam@uomustansiriyah.edu.iq

الجامعة المستنصرية ، كلية التربية ، قسم التاريخ

الملخص

تعد مدينة زكندر او زجندر من مدن المغرب الأقصى وتحديداً من مناطق السوس الأقصى وعرفت كذلك بمدينة المعدن وذلك لاشتهارها بمعدن الفضة كون المدينة كانت تحتوي على مناجم الفضة مما جعل المدينة تمثل مركزاً مهما لهذا المعدن الذي يدخل في صناعة العملة النقدية المتداولة في بلاد المغرب و المقصود بها الدراهم كونها تصنع من الفضة مما جعل الخلفاء الموحدون يقومون بتحصين المدينة خوفاً عليها من قطاع الطرق و السارقين وقد ظهر منها شخصيات لامعة من فقهاء كانت لهم حظوة ونفوذ فضلاً عن قيام احد أشخاصها بإعلان أمارة حكمت مدة ثمانون سنة .

مدينة زكندر لعبت دوراً من الناحية السياسية لا سيما في أمارة علي بن يدر الزكندري إذ كانت هي ومدن السوس بمثابة معقلاً وحصناً امام غارات الموحدين و المرينين .

الكلمات الافتتاحية : زكندر ، الفضة ، علي الهرغي ، ابن يدر الزكندري ، الموحدين

Zakander City Study of its General Conditions

A naam Ahmed Al – Dahir

Al-Mustansiriya University, College of Education, Department of History

Abstract:

The city of Zekander or Zegendar is one of the cities of the far west of Morocco, specifically in the Souss region. It was also known as the city of metals due to its fame for silver, as the city contained silver mines. This made the city an important center for this metal, which is used in the manufacture of the currency circulating in the Maghreb, namely the dirhams, as they are made of silver. This prompted the Almohad caliphs to fortify the city for fear of bandits and thieves. Prominent figures emerged from it, including scholars who had favor and influence, in addition to one of its people declaring an emirate that ruled for eighty years.

The city of Zekander played a political role, especially in the emirate of Ali ibn Yadar al-Zekandari, as it and the cities of Sous served as a stronghold and fortress against the raids of the Almohads and Marinids.

Keywords: (Zakandar, Silver, Ali al-Harghi, Ibn Yadhar al-Zakandari, Almuahadin)

المقدمة

تعد دراسة تاريخ المدن من المجالات المهمة للباحثين إذ ان هناك مدن لم يسلط عليها الضوء رغم ما تمتعت به المدينة من اخبار في كتب التاريخ سواء في النواحي السياسية او الاقتصادية او العلمية ومن هذه المدن مدينة زكندر احدى مدن السوس الأقصى التى تمتعت بخيرات اقتصادية لاسيما وأنها كانت تعد منجم للفضة الذي يستفاد منه في مجال التعدين وصناعة المسكوكات النقدية و الحلي الفضية وغيرها من أدوات الزينة .

وقد وصفت بأنها مدينة المعادن كونها تحتوي على مناجم للفضة على الرغم من فقر أهلها إذ لم يستفادوا من أهمية المعدن وكانت الاستفادة للدولة وللأشخاص الميسورين الذين يشغلون الفقراء في استخراج المعدن و الاستفادة منه .

قسم البحث الى فقرات تناولت التسمية و الموقع ، لمدينة زكندر و النشأة التاريخية للمدينة واهتمام الخلفاء الموحدين بها كذلك سلطت الدراسة على أعلام زكندر من الفقهاء الذين كانوا لهم دور كبير في العلم و الفقه فضلاً عن قيام أمارة لأحد أصحابها حكمت بصورة مستقلة لمدة ٨٠ سنة وهو علي بن يدر الزكندري .

DOI:

اعتمد البحث على مجموعة من المصادر التاريخية مثل ابن عذارى وكتابه البيان المغرب في أخبار الاندلس و المغرب وابن سماك ألعاملي وكتابه الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية وابن ابي زرع وكتابه الأنيس المطرب وغيرهم فضلاً عن القزويني وكتابه أثار البلاد و اخبار العباد الذي أمدنا بمعلومات وافية عن المدينة وطريقة استخراج المعدن و الاستفادة منه في مجالات التعدين في بلاد المغرب الأقصى .

مدينة زجندر دراسة في أحوالها العامة

اولاً- التسمية و الموقع :-

مدينة زجندر او تسمى زكندر وتسمى أيضا زقندر ، حسب ما اطلعنا عليه من تسميات لهذه المدينة وأحيانا تذكر بأنها قرية من قرى مدن المغرب الأقصى، أشار المراكشي واصفاً إياها قائلاً ((هي من مدن السوس الأقصى ، وهي احدى مدن المغرب الأقصى وتعرف بكورة مدينتها طرا قلة ، ويكون مكانها جنوب المغرب ، تحده سلسة جبار الأطلس الكبير من الشمال وسلسلة جبال الأطلس الصغير من الشرق و الجنوب و المحيط الأطلسي من الغرب ، وليس في المغرب كله بلد اجمع ولا ناحية أوفر واغزر وخيراً منه وأهل السوس فرقتان مالكيون أهل سنة ، وموسويون شيعة يقطعون على موسى بن جعفر، (ابن حوقل ، د.ت ، صفحة ٩٠) ، ووصفها بكونها بليدات صغار ((جمع بلدة)) ، كانت تارودانت حاضرة السوس و اليها يجتمع أهله ، ومدينة زجندر تقع على معدن الفضة ، يسكنها الذين يستخرجون ما في ذلك المعدن)) (المراكشي ، د.ت ، صفحة ٢٥٨) .

وقد وصف المراكشي هذه المدينة قائلاً عن دخوله إياها((فدخلتهما وعرفتهما ، ولم أزل اعرف السفار من التجار وغيرهم ، وخاصة الى مدينة المعدن المعروفة بـ زجندر)) (المراكشي ، د.ت ، صفحة ٢٥٩) .

وتسمى على اثر ذلك مدينة زجندر بمدينة المعدن و المقصود به الفضة إذ أنها كانت تقع على منجم كبير من الفضة .

وقد وصف القزويني المدينة التى اسماها بـ زكندر قائلاً عنها ((مدينة بالمغرب من بلاد بربر ، بينها وبين مراكش ست مراحل والمرحلةهي مسافة تقدر مسير يوم وليلة)) (القزويني ، بلا تاريخ ، صفحة ١٩٩)، يعتمد القزويني في معلوماته عن المدينة نقلاً عن الفقيه علي بن عبد الله المغربي الجنحاني الذي قال عنها ((مدينة مسورة كثيرة الخيرات و الثمرات ، وأهلها برابر مسلمون وبها معادن الفضة عامة ، كل من أراد ان يعالجها ، وهي غيران تحت الأرض ، فيها خلق كثير يعملون أبدا)) (القزويني ، بلا تاريخ ، صفحة ١٩٩) والغيراة مأخوذة من الغوار يعمق الأرض .

وقد ورد اسمها في الويكيبيديا باسم منجم زكوندر و بالانكليزية تورد ((Zgounder mine))معرفين بأنه منجم للمعادن النفيسة تقع في جبل سيروا وهي من جبال الاطلس بالجماعة القروية من اسكاون (اسكاونمن مناطق السوس) على بعد حوالي ١٤٠ كم وبالتحديد بالجهة الشمالية الشرقية من تارودانت قاعدة السوس الأقصى ومن أهم المعادن الموجودة هي الفضة (مقالة نشرت على النت سنة ٢٠٢٢م)،إذ ان مدينة زكندر او زجندر تقع من ضمن مدن السوس الأقصى علماً ان في المغرب هناك سوسين ((الأدنى ، الأقصى))وأول من نزل السوس الأقصى هو حام بن نوح عليه السلام الذي مضى على وجه يؤم جهة المغرب حتى انتهى الى السوس الأقصى (المسعودي ، ٢٠٢٤ ، صفحة ٧٨) .

ثانياً- الوصف الجغرافي لمدينة زكندر : -

وصفت مدينة زكندر بأنها مدينة تشتهر بوجود معدن الفضة ولهذا كانت المياسير من التجار يتوجهون اليها للتجارة في هذا المعدن ، لكل من أراد ان يعالج هذا المعدن وفيها أسواق ومساكن ومزارع وبساتين (القزويني ، د.ت ، صفحة ٢٠٠) .

ولهذا يسكن هذه المدينة خلق كثير يعملون في استخراج معدن الفضة حتى انه من عادات أهل المدينة انه من جنى جنايه او وجب عليه حق ، يقدر ان يدخل في هذه الغيران ويقصد به منجم المعدن في باطن الأرض وبذلك يسقط الطلب عنه حتى يخرج منها ، إذ يعمل الخائف فيها مدة وينفق ولا يخرج حتى يسهل الله أمره وتسقط عنه تهمته او جنايته (القزويني ، د.ت ، صفحة ٢٠٠) .

ولهذا ولوجود هذا المعدن يمكن القول ان أهل هذه المدينة كانوا في الغالب يعملون على استخراج معدن الفضة الموجودة بكثرة في هذه المدينة وتحت الأرض وهي مدينة مسورة تعم فيها الخيرات .

DOI:

ثالثا – طريقة استخراج معدن الفضة .

أورد القزويني طريقة استخراج المعدن وفصله عن الطين قائلاً ((وذكر أنهم إذ انزلوا عشرين ذراعاً (الذراع :- وحدة قياس تساوي ٢٤ الف اصبع) (ياقوت الحموي ، د.ت ، صفحة ٣٩)نزل الماء فالسلطان ينصب عليها الدواليب (الدواليب : – جمع دولاب وهي الة لرفع الماء الى الاعلى)ويسقى ماؤها ليظهر الطين ، فيخرجه الفعلة الى ظاهر الأرض ويغسلونها وإنما يفعل ذلك ليأخذ خمس النيل)) (القزويني ، د.ت ، صفحة ٢٠٠) .

وعن طريق دفع الماء لاستخراج الفضة أشار القزويني ان الغاية من دفع الماء ، هو استخراج العمال و الفعلة المعدن ويقوموا بغسله إذ ان ماؤها يسقى ثلاث دفعات (ثلاثة مراحل) إذ ان المسافة من وجه الأرض الى الماء عشرين ذراع وتنصب دواليب على وجه الأرض يسقى ويصب في حوض كبير ، ثم يصب على ذلك الحوض دولاباً أخر ، فيستقى ويصب في حوض أخر ، ثم ينصب على ذلك الحوض دولاباً ثالثاً فيستقى ويجري على وجه الأرض الى المزارع و البساتين ، وقيل ان هذا العمل لكلفته المادية لا يقوم به إلا شخص يكون لديه أموال كثيرة إذ انه يقعد على باب الغار ويكري الصناع و الفعلة فيقوموا بإخراج الفضة بعد فصله من الطين بعد غسله بصورة جيدة حتى يتم العمل به ، فإذا انتهى العمل اخرج خمس للسلطان وسلم الباقي له ، ويكون أخراج الفضة على قدر عمل الشخص وإنفاقه على العمل قليل كان او كثيراً (القزويني ، د.ت ، صفحة ٢٠٠).

رابعاً – النشأة التاريخية لمدينة زكندر :-

اختلف المؤرخون حول النشأة التاريخية لمدينة زكندر فقيل أنها مدينة قديمة وقيل أنها مدينة محدثة أنشأها الخليفة ألموحدي ابو يعقوب يوسف عبد المؤمن الذي بويع بعد وفاة والده عبد المؤمن بن علي المؤسس السياسي للدولة الموحدية إذ استقل اليه البيعة وكملت له وذلك بعد وفاة والده سنة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م (ابن عذاري ،٢٠٠٩ ، صفحة ٨٣)، والذي قال عنه((ووطد الملك و الحكم)) (ابن الخطيب ، ٢٠٢١، صفحة ١٤٢) .

وقد أورد ان سبب بناء مدينة زكندر او الأصح تحصين مدينة زكندر وذلك لحماية المدينة التى تشتهر بمعدن الفضة كمنجم كبير فيها وكذلك لقطع دابر قطاع الطرق واللصوص كما أورد ذلك ابن عذارى قائلاً ((الخليفة ابو يعقوب توجه لبلاد السوس لقطع المنافقين عن المعدن ويقصد به معدن الفضة الذي يقع بالقرب من جبل السوس على مقربة من بلاد هرغة (هرغة:–وهي احدى قبائل المصامدة اسمها البربري ارغن ، وكانت ذات عدد قليل مقارنة بغيرها من القبائل المغربية تسكن بلاد السوس) (البيذق ، ١٩٧١ ، صفحة ٣٧ ، ابن خلدون ،د.ت ، ج٦ ، صفحة ٣٠١)، قد اخرج منه شئ لم يعهد في قديم الزمان ، ولا مثله قط ، في ذلك المكان ، وظهر أهل هذا الجبل ، بما يحصل في أيديهم منه واغتصبوه لا نفسهم دون حق منه للخليفة)) (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، صفحة ١٤٧)

وكان من الطبيعي ونتيجة هذه الأمور الخارجة عن القانون ، ان خرج في سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م من اجل تحصينه وتحصيله فوصل الى المعدن ((الفضة)) فقرر الخليفة ألموحدي ابو يعقوب يوسف بناء حصن عليه و اسكنه الجند وقام بتحصينه تحصيناً جيداً ومحكماً حماية لهذا المنجم الكبير الذي كان موجود في مدينة زكندر (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، صفحة ١٤٧) .

ويؤكد ابن ابي زرع ان الخليفة ابو يعقوب يوسف خرج في هذه السنة من مراكش لبناء حصن زكندر إذ بناه على المعدن الذي ظهر هناك سنة ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م (ابن ابي زرع ، ١٩٧٢ ، صفحة ٢١٢) . ويوضح محقق الكتاب ان المدينة كانت مزدهرة في القدم ، و المدينة مبنية على معدن الفضة اي ان المدينة تحتها منجم اوغار للتعدين للفضة (حاشية المحقق ، صفحة ٢١٢) .

أذن يتضح لنا ان مدينة زكندر او زجندر او زقندر هي مدينة تقع بالمغرب الأقصى من بلاد السوس الأقصى وهي مدينة قديمة إلا ان الخليفة ألموحدي ابو يعقوب قام بتحصين المدينة و تسويرها كي يحمي معدن الفضة كونه مورد مهم لبيت المال وللدولة من قطاع الطرق و السارقين مما جعله يسور المدينة وجعلها قاعدة عسكرية (معلمة المغرب ، د.ت ، صفحة ٤٦٩٢ سعاد ، د.ت ، صفحة ١٦٩).

وهذا ما أكده ابن الخطيب عن سؤاله لفقيه هرغة القاضي ابو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الزقندري عن مدينة زقندر وأهميتها الاقتصادية قائلاً :-

سألتك عبد الله إيضاح مشكَل وأنت لكشف المعضلات بمرصد

زقندر قالوا عنه معدن فضة فما بآله أبداك ندرة عسجد و العسجد (الذهب) (ابن الخطيب ، ١٩٧٢ ،الصفحات ٦٢–٦٣).

DOI:

خامسا –أعلام مدينة زقندر او زكندر :-

من أعلام هذه المدينة العالم الفقيه القاضي الذي نقل اخبار مدينته علي بن عبد الله الهرغي المغربي الجنحاني الذي اعتمد عليه القزويني في ذكر المدينة وإخبارها (القزويني ، د.ت ، الصفحات ، ١٩٩-٢٠٠) .

وأيضا عبد الله بن محمد بن عبد الله الهرغي الملقب بالزكندري او الزقندري نسبة الى المدينة المغربية القديمة زكندر او زقندر او زجندر ، إذ ولد في مراكش سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٦م و بها درس الحديث وكان قاضي الجماعة بمراكش ، وكانت له دروس بمراكش في علمي التفسير و الحديث ، ولم يكن بها مثله في زمانه (ابن قنفذ القسنطيني ، ١٩٨٣،الصفحات ١٤٨-١٤٩ ، سعاد ، بلا تاريخ ، صفحة ١٦٩) .

وقد أورد ابن الخطيب في ترجمته لابن محمد عبد الله بأنه من أهل العلم و الدين و لقبه بالشيخ الفقيه القاضي وكان معاصراً له بدليل قوله للشعر عن مدينة زكندر ((ولذلك ماقلت أداعبه)) (ابن الخطيب ، ١٩٧٢ ، ج٢ ، صفحة ٦٢) .

وقد وصفه قائلاً عنه ((هو فاضل متفنن ، حسن الهيئة ، راجح الوزان ، كثير الوقار بعيد عن الدحلة ، متساوي الظاهر و الباطن ، مطرح الهوادة ، رجل غزير الحفظ ، جيد المعرفة ...،)) (ابن الخطيب ،١٩٧٢ ، ج٢ ، صفحة ٦٣)

اشتهر عبد الله الهرغي بعلوم الحديث و الرواية و التاريخ و الفقه وعلم الكلام وعلوم الترسيل في النظم و النثر (ابن الخطيب ، ١٩٧٢ ، ج٢ ، صفحة ٦٣) ،أما عن مجالسه العلمية فقد وصفه ابن الخطيب بأنه((فضل المجالسة وحسن العشرة و الغفلة من نصيب النفس و الاحتطاب ، فضل الفكاهة ، و الجهر بالتلاوة في سبيل الورد المترتب ناشئة الليل ومبادئ الأسحار ، ...)) (ابن الخطيب ،١٩٧٢ ، ج٢ ، صفحة ٦٣) .

كانت له رحلة حج ولقي الكثير من العلماء واخذ عنه أهل المغرب علوم الدراية و الرواية (ابن الخطيب ، ١٩٧٢ ، ج٢ ، صفحة ٦٣) ، وحدد مكان التدريس بمراكش .

وقد أورد ابن الخطيب طلابه في المدن المغربية مثلا من مدينة مراكش اخذ عنه ابو العباس الغفائري ، وأبو الحجاج الدعوي و ابو القاسم بن معتصر وغيرهم واخذ عنه من أهل أغمات (أغمات :- اقليم اغمات وهو رستاق عظيم فيه مدينة كثيرة الخير و التجارة ، ومن سجلماسة لاغمات ثمانية مراحل ومثلها الى فاس ، ومن ورائها الى ناحية البحر المحيط بالسوس الاقصى) (ابن حوقل ، د.ت ، صفحة ٩٠) ، ابو يحيى الجزولي من حفاظ المذهب المالكي ، من أهل فأس ، و ابو محمد عبد العزيز القروي وغيرهم ومن أهل مدينة تازا(تازا: – من بلاد المغرب ، مابين المغرب الاوسط و الاقصى ، وقد بنيت مدينة الرباط في جبال تازا وتسمى مدينة الرباط من جبال تازا) (الحميري ، د.ت ، صفحة ١٢٨)، ابو محمد ألرحالي ومن مدينة تلمسان الشيخ الفقيه ابو موسى بن الأمام اخذ عنه علوم المنطق و العلوم العقلية وغيرهم كثير (ابن الخطيب ،١٩٧٢، ج٢ ، صفحة ٦٣)، ومن طلابه ابن قنفذ صاحب الوفيات (معلمة المغرب ، د.ت ، مج ٢١٤ ، صفحة ٤٦٩٢) ، بدليل ماذكره عنه قائلاً عنه ((كان قاض الجماعة بمراكش الشيخ الفقيه العالم ، التالي لكتاب الله تعالى دائماً ، حضرت دروسه بمراكش في التفسير و الحديث ، ولم يكن بها مثله في زمانه)) (ابن قنفذ ، ١٩٨٣، صفحة ٣٦٦ ، التنبكتي ، ٢٠٠٠ ، الصفحات ١٤٨-١٤٩) واسماه الزقندري .

إما عن الوظائف التى تقلدها الهرغي الزكندري انه تولى قضاء مراكش عام ٧٦٠هـ / ١٣٥٩م بعد ان تولاه في اغمات وسبته (ابن الخطيب ، ١٩٧٢ ، ج٢ ، صفحة ٦٦) وكانت وفاته سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م .

يشير صاحب الأعلام بمن حل بمراكش انه اليه ينسب جامع الزكندري بالقصور (السملالي ، د.ت ، صفحة ١٠٠ ، ينظر بلغة الامينة / صفحة ٣٣) .

٢ – علي بن يدر الزكندري :-

من أعلام مدينة زكندر الذي استطاع ان يؤسس أمارة مستقلة عن الدولة الموحدية حكمت مدة ثمانون عام في مناطق السوس الأقصى إذ استطاع ان يستغل الظروف التى مرت بها الدولة الموحدية من ضعف وانقسام فاستطاع ان يعلن إمارته سنة ٦٥٠ – ٦٥١هـ / ١٢٥٢ – ١٢٥٣م ، (السلاوي ،٢٠٠٧ ، مج ١ ، صفحة ٣٥٣ ، اليماني ، ، مقالة منشورة على الانترنيت) .

ولابد ان نشير ان علي بن يدر كان من المقربين للخليفة ألموحدي ومن أعوان الوزير ابو محمد بن يونس وزير الخليفة المرتضى ألموحدي وهو عمر المرتضى ابن السيد الخليفة ابي ابراهيم إسحاق بن ابي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، يكنى أبا حفص ، ويلقب

DOI:

بالمرتضى مدة خلافته ١٨ سنة من سنة ٦٤٦ – ٦٦٥ هـ / ١٢٤٨ – ١٢٦٧م وكان له حظ من العلم والأدب وبراعة الخط ، (ابن السماك العاملي ، ٢٠١٠ ، الصفحات ٢٥٥– ٢٥٦ ، ابن عذاري ، ٢٠٠٩، صفحة ٣٨٧) .

يقول ابن عذارى انه كان من الرجال المقربين للوزير ابن يونس محمد اذ أقدم الخليفة عمر المرتضى على أقالته من منصبه لما وصل اليه من اخبار مشينة عنه مما اوجب قتله مما جعل الوزير ابن يونس ان يرحل من مراكش ويستوطن مدينة تامصلحت وهي من المواضع القريبة لمراكش وكان من مساعديه علي بن يدر زعيم قبيلة يدر السوسيه الذي استغل الأوضاع من عزل ابن يونس عن الوزارة وقرر الهروب الى مدينة السوس وكانت بينهم مراسلات (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، الصفحات ٤٠١ – ٤٠٢) ويعلل ابن عذارى ان من أسباب نكبة ابن يونس الوزير ان الخليفة عمر المرتضى علم ان الوزير كان يراسل علي بن يدر ويعرفه الأمور ويشاركه فيها مما اثأر حفيظة الخليفة ألموحدي (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ،صفحة ٤٠٤) .

وعلى اثر ذلك استطاع على بن يدر ان يعلن أمارته وتمرده وانفصاله مما دعى الخليفة ان وجه اليه جيش من الموحدين إلا أنهم لم يقدروا عليه فتركوه ورجعوا لمراكش (ابن عذاري ، ٢٠٠٩، صفحة ٢٠٢)، وفي سنة ٦٥٢هـ / ١٢٥٣م بدء خطره بالتزايد على الخلافة الموحدية إذ تعاظم أمره وبرز نفوذه في بلاد السوس آذ انقادت اليه بعض القبائل من بنو الشبانات وبنو حسان وغيرهم وبدء أهل البلاد يطيعونه وكانت سياسته معهم قائمة على الإعطاء لبعض العرب وإكرامهم واغداقهم بالعطايا فاجتمع اليه فرسان العرب (بان عذاري ،٢٠٠٩ ، ج٤ ، الصفحات ٤٠٣ – ٤٠٤) .

وعندما علم الخليفة ألموحدي المرتضى بذلك امر عامله على مدينة تارودانت قاعدة السوس الأقصى وحاضرته بالخروج اليه ومقاتلته وجرت معارك بينهم كان من نتائجها ان انهزم أمامهم إلا أنهم لم يقظوا عليه فرجعوا لمراكش ثم استجمع قواه ورجع لحاله من الانفصال (ابن عذاري ،٢٠٠٩، صفحة ٤٠٤) ، وفي سنة ٦٥٥هـ / ١٢٥٧م بدء علي بن يدر السوسي الزكندري بسياسة المهادنة و الأحلاف من قبائل الأعراب الذين اسماهم ابن عذارى بالمفسدين و المعتدين مما جعل الخليفة ان يرسل عليه العسكر بقيادة اصناج الذي قاتله وقتل الكثير من جنده إلا انه رجع لمراكش بعد ان اشتدت الحرب ونقص من عسكره جند كثير وبقى ابن يدر في شدته وبائسه حتى اسماه ابن عذارى بالشقي (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، الصفحات ٤١٠–٤٥٤) .

سياسة ابن يدر الزكندري في بلاد السوس الأقصى .

عمل علي بن يدر الزكندري عند إعلان أمارته في مناطق السوس الأقصى بعد ان استولى عليها وعلى مجموعة من حصون المدينة على المهادنة مع بنو مرين و هم من قبائل المغرب وهم فخذ من زنانة ومؤسس الدولة المرينية السلطان ابو يعقوب بن عبد الحق بن محيو بن ابي بكر بن حمامة الذي أعلن دولته سنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م ، و اتخذ من فأس عاصمة لمملكته (ابن سماك العاملي ،٢٠١٠، صفحة ٢٨٣ ، ابن ابي زرع ، ١٩٧٢ ، صفحة ٤٠٢) ، وقرر ابن يدران يتبع سياسة التعايش السلمي مع بنو مرين حكام المغرب .

كذلك اتخذ أسلوب المهادنة مع بنو معقل و هم من الأعراب وموطنهم بصحراء المغرب الأقصى وهم يجاورون بنو عامر الهلالية ومساكنهم قبالة تلمسان وهم ثلاثة بطون ، (السلاوي ،٢٠٠٧ ، الصفحات ٢٩٧ – ٢٩٨) ، ومن أسباب اتخاذه سياسة المهادنة هو ان ابن يدر أدرك الأهمية الإستراتيجية لمدينة السوس التجارية وتحكمها بطريق القوافل التجارية القادمة من الصحراء وهذا الامر دفع لحدوث صراع للسيطرة على مدينة السوس الأقصى بين بنو مرين وبنو معقل و بنو زيان أصحاب تلمسان (ابن سماك العاملي ،٢٠١٠ ، صفحة ٢٥٧) .

و لابد ان نشير ان بنو معقل ذو ثلاث بطون هم (عبد الله ، منصور ، حسان) والذين سكنوا مدينة زكندر هم من بنو منصور ، الذين سيطروا على بلاد تاردوانت الى بلاد درعة واستولوا على نهر الملوية الى سجلماسة وتازا ومكناسة وفاس وتادلا ومدينة المعدن زكندر (السلاوي ، ٢٠٠٧، مج ١ ، صفحة ٢٩٨) ، وقد استطاع بنو معقل ان يدخلوا في حلف مع زناتة وسيطروا على مدن وصحراء المغرب الأقصى وتحالفوا مع بنو كعب من بنو سليم وتملكوا السوس من جهة الغرب (السلاوي ، ٢٠٠٧ ، صفحة ٢٩٨).

كان من الطبيعي لسياسة المهادنة ان تتوسع إمارة ابن يدر لاسيما بعد ان إطاعته القبائل من بنو حسان من عرب معقل وقبائل جزولة واستفحل أمره مما جعل خلفاء الموحدين يشدون الحصار عليه (السلاوي ، ٢٠٠٧ ، صفحة ٣٥٣) ، وتحالفوا مع بنو مرين من اجل إنهاء الإمارة الزكندرية وقد أورد ابن عذارى مراسلات ومخاطبات بين الموحدين و المرينين لوضع حداً لامارة علي بن يدر وإنهاء

DOI:

حركته (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، صفحة ٤٠٤) ، وكان من الطبيعي ان يدافع ابن يدر عن نفسه بأنه تغير واتبع سياسة سيئة تجاه قبائل العرب فثاروا عليه وقتلوه سنة ٦٦٨هـ / ١٢٦٩م ،حتى وصف ابن عذار بسياسته بالهضيمة تجاه العرب .

أما عن نظام الحكم في الأمارة كان وراثياً بين أفراد عشيرته واستمر حكمهم حتى انهى وجودهم السلطان المريني ابو الحسن الذي غلب عليهم وأنهى أمارتهم (السلاوي ،٢٠٠٧ ، صفحة ٣٥٣) ، من الذين جاءوا بعد علي ابن يدر ابن أخيه (عبد الرحمن بن الحسن) الذي قتل على يد بنو معقل و المرينين ثم أخوه (علي بن الحسن بن يدر) الذي لقب بالأمير الثالث وتمكن من اعادة أملاك أجداده وظل يحكم لسنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٣م إذ سقطت الأمارة في عهده ، (اليماني ، د.ت ، صفحة ١٠٠).

وأورد ابن عذارى ان عدد جيش الأمارة كان ثلاثة الاف فارس وكان عدد أعلامها ورياتها سبعة وكانت من الحرير الموشى بالذهب (ابن عذاري ،٢٠٠٩، صفحة ٤٥٤) ، ولم يتخذ بنو يدر أشارة خاصة بهم اوسكة خاصة على الرغم من استيلائهم على طرق التجارة و التحكم بها وأصبحت البلاد في عهد ابن يدر بالخراب اذ انه خرب تارودانت التى تتصف بكونها كثيرة الخيرات وأصبحت من المدن الفقيرة ولم يبقى ألا جامع للخطبة (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، صفحة ٤٥٥) إلا انه اتبع سياسة المسالمة مع السكان .

وأقدم على تدمير حصن تاردوانت ايام الخليفة الواثق بالله ألموحدي وقد أوضح ابن عذاري أهمية الحصن قائلاً ((ولما كان انتزء الشقي علي بن يدر الى الفتنة لم يكن أمله سوى تخريب الحصن الذي اتخذه خلفاء الموحدين معقلاً ومحلاً لولاتهم ومنزلاً ، فأباد أثاره وزلزل قواعده و أزال سوره وهدم دياره)) (ابن عذاري ، ٢٠٠٩ ، الصفحات ٤٥٨ – ٤٥٩)، وقد عاصر ابن يدر من خلفاء الموحدين الخليفة عمر المرتضى وابن ابي دبوس اللذان عملا بكل الطرق على إنهاءه و التخلص منه وذلك لما مثله من خطورة على الدولة الموحدية .

الخاتمة

وفي نهاية البحث توصلنا الى مجموعة من الاستنتاجات وهي :-

١. مدينة زكندر لعبت دوراً من الناحية السياسية لا سيما في أمارة علي بن يدر الزكندري إذ كانت هي ومدن السوس بمثابة معقلاً وحصناً امام غارات الموحدين و المرينين وقد أنهكت الدولة الموحدية ولم يستطيعوا التخلص منهم إلا بعد التعاون مع الإعراب بنو مرين ونو زيان .

٢. تمتعت المدينة بمميزات اقتصادية لا احتوائها على منجم للفضة استفادت منه الدولة وعملت على تحصين المدينة من الإخطار الخارجية بينما عاش أهلها في الفقر والضيق.

٣. وضحت الدراسة عمل طريقة رفع المعدن ((الفضة)) وفصله ومروره بمراحل متعددة كذلك ان المدينة بسبب غورها ((بعدها))عن سطح الأرض، و عن السلطة الحاكمة كان المناوئين للسلطة او الذي عليه قضية يتوجه للمدينة ويستقربها بعيداً عن أعين السلطة و الحكام .

٤. من أعلام المدينة علي بن عبد الله و محمد بن عبد الله اللذان كان لهما دوراً في مجال التاريخ و الفقه و الحديث و اللغة و الأدب وتمكنوا من التوجه لمراكش ونالوا حظوة ومناصب ادارية مثل القضاء فضلاً عن مجالسهم العلمية و الفقهية واخذ علماء المغرب عنهم واعتمادهم في المرويات التاريخية .

٥. تعد مدينة زكندر بكونها صاحبة اكبر مناجم الفضة التى موجودة تحت سطح الأرض وقد استفادت الدولة من هذه الثروة كونها تدخل في الصناعات و التعدين و العملة على الرغم ما عانته المدينة من ويلات وحروب لاسيما ايام ابن يدر الزكندري .

DOI:

المصادر

ابن ابي زرع الفاسي ، ابو الحسن علي بن عبد الله ، الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فأس، دار المنصور للطباعة ، الرباط ١٩٧٢.

ابن الخطيب ، ابي عبد الله لسان الدين محمد بن عبد الله ت ٧٧٦هـ ، قم الحلل في نظم الدول ،تحقيق عبد الرحمن عايد بن احمد الخضلي ، دار المازردي ، ط١ ، تونس ٢٠٢١.

ابن الخطيب ، لسان الدين ت ٧٧٦ هـ ، نفاضة الجراب في علالة الاغتراب ، نشر وتعليق احمد مختار العبادي ، مراجعة عبد العزيز الاهوائي ، دار الشؤون الثقافية ، العراق ، د.ت.

ابن حوقل ،ابو القاسم النصيري ت ٣٦٧هـ /٩٧٨م ، صورة الارض ، د.ت.

ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ و الخبر في العرب و البربر ومن عاصرهم من ذو الشان الاكبر ، ج٦ ، د.ت .

السلاوي، ابي العباس شهاب الدين احمد بن خالد بن حماد الناصري الذرعي ، ت ١٣١٥هـ ،الاستقصاء لاخبار دول المغرب الاقصى ، اعتنى به محمد عثمان ، ط١ ، دار الكتب العلميه ، مج١ ، لبنان ٢٠٠٧ .

ابن سماك العاملي ، ابي القاسم محمد بن ابي العلاء محمد من علماء القرن ٨هـ/١٠٤م ، الحلل الموشية في ذكر اخبار المراكشية ، تحقيق عبد القادر بو باية ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ٢٠١٠.

ابن عذاري ، ابو العباس احمد بن محمد بن عذاري المراكشي كان حيا سنة ٧١٢هـ ، البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب ، قسم الموحدين ، تحقيق عبد الله محمد علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٩ .

التنبكتي ، نيل الابتهاج ، د.ت ، طرابلس ٢٠٠٠ .

ابن قنفذ القسنطيني ، كتاب الوفيات ، بيروت ١٩٨٣ .

. البيذق ، الانساب في معرفة الاصحاب ، الرباط ١٩٧١.

الحميري ، الروض المعطار في خبر الاقطار ، د.ت .

اليماني ، فتوح ، لمحة عن تاريخ امارة ايت يذر بسوس، مقالة منشورة على الانترنيت.

السملالي ، الاعلام بمن حل بمراكش واغمات من الاعلام ، بلا تاريخ .

القزويني ، اثار البلاد واخبار العباد ، بيروت ، د.ت .

المراكشي ، المعجب في تلخيص اخبار المغرب ،بيروت ، د.ت .

المسعودي ، اخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء و العمران ،سوريا ٢٠٢٤.

اليماني ، فتوح ، لمحة عن تاريخ امارة ايت يدر بسوس ، مقالة على النت .

حاشية المحقق .

معلمة المغرب ، قاموس مرتب على حروف الهجاء .

سعاد ، اشقر ، التفسير و المفسرون بالمغرب الاقصى، فاس ، د.ت .

مقالة نشرت على النت سنة ٢٠٢٢م .

DOI:

References

Ibn Abi Zar' al-Fasi, Abu al-Hasan Ali ibn Abdullah, Al-Anis al-Mutrib bi-Rawd al-Qirtas fi Akhbar Muluk al-Maghrib wa-Tarikh Madinat Fas, Dar al-Mansur for Printing, Rabat 1972.

2. Ibn al-Khatib, Abu Abdullah Lisan al-Din Muhammad ibn Abdullah, d. 776 AH, Raqm al-Halal fi Nazm al-Duwal, edited by Abd al-Rahman Ayed ibn Ahmad al-Khadhli, Dar al-Mazardi, 1st edition, Tunisia 2021.
3. Ibn al-Khatib, Lisan al-Din, d. 776 AH, Nafadat al-Jirāb fī 'Ilālat al-Ightirab, published and annotated by Ahmad Mukhtar al-Abadi, reviewed by Abdul Aziz al-Ahwa'i, Dar al-Shu'un al-Thaqafiya, Iraq, no date.
4. Ibn Hawqal, Abu al-Qasim al-Nasiri, d. 367 AH/978 CE, Surat al-Ard (The Image of the Earth), undated.
5. Ibn Khaldun, Tarikh Ibn Khaldun (The History of Ibn Khaldun The book called Al-Ibar and Diwan Al-Mubtada' wal-Khabar fi al-Arab wal-Barbar wa man Asarahum min Dhawi al-Sha'n al-Akbar), vol. 6, undated.
6. Al-Salawi, Abu al-'Abbas Shihab al-Din Ahmad ibn Khalid ibn Hammad al-Nasiri al-Dhar'i, d. 1315 AH, Al-Istiqsa' li-Akhbar Duwal al-Maghrib al-Aqsa (The Comprehensive Account of the History of the States of the Far Maghreb), edited by Muhammad 'Uthman, 1st ed., Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, Lebanon, 2007, vol. 1.
7. Ibn Samak al-Amili, Abu al-Qasim Muhammad ibn Abi al-Ala Muhammad, a scholar of the 8th century AH/104 CE, Al-Hulal al-Mawshiyya fi Dhikr Akhbar al-Marrakushiyya, edited by Abd al-Qadir Bu Baya, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Lebanon, 2010.
8. Ibn Adhari, Abu al-Abbas Ahmad ibn Madrat ibn Adhari al-Marrakushi, was alive in the year 712 AH. Al-Bayan al-Maghrib fi Akhbar al-Andalus wa al-Maghrib, section on the Almohads, edited by Abdullah Muhammad Ali, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut 2009.
9. Al-Tinbukti, Nayl al-Ibtihaj, Tripoli2000.
10. Ibn Qunfudh al-Qustantini, Kitab al-Wafayat, Beirut1983.
11. Al-Baydhaq, Al-Ansab fi Ma'rifat al-Ashab, Rabat1971.
12. Al-Himyari, Al-Rawd al-Mu'attar fi Khabar al-Aqtar, n.d.
13. Limani, Futuh, A Glimpse into the History of the Ait Yder Emirate in Sous, an online article.
14. As-Samlali, Al-I'lam bi-man Halla bi-Marrakesh wa-Aghmat min al-A'lam (Information on those who settled in Marrakesh and Aghmat), undated.
15. Al-Qazwini, Athar al-Bilad wa-Akhbar al-'Ibad (Monuments of the Lands and News of the People), undated.
16. Al-Marrakushi, Al-Mu'jib fi Talkhis Akhbar al-Maghrib (The Marvelous in Summarizing the News of Morocco), undated.

Al-Mas'udi, News of the Times and What Has Been Destroyed by Events and Wonders of the Countries and What Has Been Submerged by Water and Civilization, Syria 2024.

18. Al-Yamani, Futuh, A Glimpse into the History of the Ait Yder Emirate in Sous, an online article.
19. Editor's Notes.
20. Ma'lamat al-Maghrib (Encyclopedia of Morocco), an alphabetically arranged dictionary.
21. Su'ad, Ashqar, Al-Tafsir wa-al-Mufassirun bi-al-Maghrib al-Aqsa (Interpretation and Interpreters in the Far Maghreb), undated.
22. An online article published in 2022.

DOI: